٢٧ـ كن مترفعًا عن الصغائر والنقائص...

إياك يا بني و يا بنيتي أن تفهم أن الترفع نوع من أنواع الكبر، أو مظهر من مظار التعالي على الناس، ربما قابلت في حياتك من يُفهمك ذلك من شرار الناس.

إنهم يريدون منك أن تخوض مثلهم فيما يخوضون فيه، بما يُذهب مروءتك ومكانتك عند الناس.

فالترفع ليس من الكبر في شيء، لأنه صون للنفس مما يدنسها، وَلِلْعِرْضِ أن يخاض فيه.

وهو صفوة مكارم الأخلاق، وقمة حسنها وبهائها.

وهو دليل على قوة النفس، التي تخلصت من شرورها ومعايبها، وتزينت بكل مُحَسِّن، وتخلصت من كل مشين.

وهو دليل على تزكية النفس وتقواها، وأنها نفس سوية قال الله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس ٧ـ١٠].

إنَّ هذه النفس بعد ترفعها، وتجاوزها لشهواتها، لهي نفس مُحَرَّرَة من كل قيد يمنعها عن سموها، وعن تلقيها لأنوار الحق والهُدَى، لتعيد بثَّه مرة ثانية في أرجاء الكون، كمصباح مضيئ.

إنَّ النفس الإنسانية يا بني أعدَّها خالقها لهذا الترفع والترقي، وهي

مهيأة لتلقي ما فيه صلاحها خاصة، وصلاح الكون على وجه العموم، وهذا بناء على وجود" قوة واعية مدركة موجهة في ذات الإنسان، هي التي تناط بها التبعة.

فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها، وتنمية استعداد الخير فيها، وتغليبه على استعداد الشر فقد أفلح، ومن أظلم هذه القوة وخبأها وأضعفها فقد خاب". (١)

فالنفس وإن كانت ممدوحة بما ترتفع عنه، فهي مرهونة مأخوذة بما خاضت فيه واكتسبته قال الله تعالى:﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

المدثر:٣٨].

إنَّ النفس المترفعة عن الصغائر دُرِّبَتْ ـ أو اعتادت ـ على الملاحظة عن بعد لكل ما ينال منها، فتراها تجتنبه قبل أن تصل إليه أو يصل إليها.

عَنْ عَطِيَّةَ السَّعْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنْ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ الْبَأْسُ ". (٢)

يقول البخاري: ما اغتبت مسلمًا منذ احتلمت.

ويقول الشافعي: ما كذبت منذ علمت أن الكذب يضر أهله.

ويقول أيضًا وهو يحاسب نفسه: ما حلفت بالله صادقًا ولا كاذبًا.

ويقول ابن القيم: سألت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه عن مسألة أو عن شيء،فقال: هو ليس بحرام ولا مكروه، ولكن مثلي لا يفعله.

(١) في ظلال القرآن٦/ ٣٩١٧، ٣٩١٨.

(٢)رواه الترمذي .

وقال الشاعر:

سأترك حبها من غير بغض ∴ ولكن لكثرة المشاركين فيه
إذا وقع الذباب على طعام ∴ رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتأبى الأسود ورود ماءٍ ∴ إذا كان الكلاب يلغن فيه

من فوائد الترفع عن الصغائر...

١ـ فيه صون لعرض الإنسان.

٢ـ يُعفي الإنسان من مواطن الشبهات.

٣ـ يحفظ الكرامة، ويُكسب احترام الناس.

٤ـ يُزيد من قوة الإرادة والشخصية.

٥ـ يُبعد الإنسان عن مواطن النقد والذم.

٦ـ دليل على كمال إيمان العبد.